نبدأ بأول سورة ((**سبح اسم ربك الأعلى**)) البسملة سبق الكلام عليها، وأنها آية من كتاب الله مستقلة ليست من الفاتحة ولا من البقرة، ولا من آل عمران، ولا من أي سورة من القرآن، لكنها آية مستقلة تنزل في ابتداء كل سورة ولهذا كان الصحيح من الفاتحة أن أول آية فيها ((**الحمد لله رب العالمين**))، والثانية ((**الرحمن الرحيم**)) والثالثة)) **مالك يوم الدين ((والرابعة))إياك نعبد وإياك نستعين** ((والخامسة **)) إهدنا الصراط المستقيم ((والسادسة ((صراط الذين أنعمت عليهم**)) والسابعة ((**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**)) هذا هو القول الصحيح التي دلت عليه سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول الله تعالى : ((**سبح اسم ربك الأعلى**)) الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والخطاب الموجه للرسول في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام: **القسم الأول**: أن يقوم الدليل على أنه خاص به فيختص به.**الثاني**: أن يقوم الدليل على أنه عام فيعم. **الثالث**: أن لا يدل دليل على هذا ولا على هذا، فيكون خاصًّا به لفظاً، عامًّا له وللأمة حكماً. مثال الأول: قوله تبارك وتعالى: ((**ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك**)) .ومثاله أيضاً قوله تعالى: ((**وأرسلناك للناس رسولاً**)). فإن هذا من المعلوم أنه خاص بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ومثال الثاني الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام، وفيه قرينة تدل على العموم: قوله تعالى: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)). فوجه الخطاب أولاً للرسول عليه الصلاة والسلام،**((يا أيها النبي**)) ولم يقل " **يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم** " قال: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم**))، ولم يقل: " **يا أيها النبي إذا طلقت** " قال: ((**يا أيها النبي إذا طلقتم**)) فدل هذا على أن الخطاب الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام موجه له وللأمة. وأما أمثلة الثالث: فهي كثيرة جداً يوجه الله الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، والمراد الخطاب له لفظاً وللعموم حكماً. هنا يقول الله عز وجل: ((**سبح اسم ربك الأعلى**)) ((**سبح**)) يعني نزه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته، فإن التسبيح يعني التنزيه، إذا قلت: سبحان الله، يعني أنني أنزه الله عن كل سوء، عن كل عيب، عن كل نقص، ولهذا كان من أسماء الله تعالى " **السلام، القدوس** " لأنه

متنزه عن كل عيب. ونحن نضرب لكم أمثلة: من صفات الله تعالى: الحياة ، هل في حياته نقص؟ لا ، وحياة المخلوق فيها نقص، أولاً: لأنها مسبوقة بالعدم فالإنسان ليس أزلياً. وثانياً: أنها ملحوقة بالفناء ((**كل من عليها فان**)). السمع، سمع الله عز وجل ليس فيه نقص يسمع كل شيء، حتى إن المرأة التي جاءت تشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلّم والتي ذكر الله تعالى قصتها في سورة المجادلة، كانت تُحدث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعائشة في الحجرة يخفى عليها بعض حديثها، والله تعالى يقول في كتابه: ((**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**)). ولهذا قالت عائشة: " **الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات** "، إن المرأة المجادلة لتشتكي إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنه ليخفى علي بعض حديثها. إذن معنى ((**سبح**)) سبحان الله معناها أيش أنزه الله عن كل عيب ونقص. وقوله: ((**اسم ربك الأعلى**)) قال بعض المفسرين: إن قوله ((**اسم ربك**)) يعني مسمى ربك؛ لأن التسبيح ليس للاسم بل لله نفسه، ولكن الصحيح أن معناها: سبح ربك ذاكراً اسمه، يعني لا تسبحه بالقلب فقط بل سبحه بالقلب واللسان، وذلك بذكر اسمه تعالى، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ((**فسبح باسم ربك العظيم**)). يعني سبح تسبيحاً مقروناً بالاسم، وذلك لأن تسبيح الله تعالى قد يكون بالقلب، بالعقيدة، وقد يكون باللسان، وقد يكون بهما جميعاً، والمقصود أن يسبح بهما جميعاً بقلبه لافظاً بلسانه. وقوله ((**ربك**)) الرب معناه الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، فالله تعالى هو الخالق، وهو المالك، وهو المدبر لجميع الأمور، وهل المشركون يقرون بذلك؟ الجواب نعم يقرون بذلك ((**ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**)). ((**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله**)). وأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم إذا سئلوا ((**أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله** }. فهم يقرون بأن الله له الملك، وله التدبير، وله الخلق، لكن يعبدون معه غيره، وهذا من الجهل، كيف تقر بأن الله وحده هو الخالق، المالك، المدبر للأمور كلها وتعبد معه غيره!! إذن معنى الرب هو الخالق، المالك، المدبر لجميع الأمور، وكل إنسان يقر بذلك يلزمه أن لا يعبد إلا الله، كما تدل عليه الايات الكثيرة: ((**يا أيها الناس**

اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم)). قال: ((اعبـدوا ربكـم الـذي خلقكـم)) يعنـي لا تعبـدون غيـره. ((**سبح اسـم ربـك الأعلى**)) الأعلى : من العلو، وعلو الله عز وجل نوعـان: علـو صـفة، وعلو ذات، **أما علو الصفة**: فإن أكمل الصـفات للـه عـز وجـل، قـال تعالى: ((**ولله المثل الأعلى**)).

وأما علو الذات: فهو أن الله تعالى فوق عباده مسـتو علـى عرشـه، والإنسان إذا قال: يا الله أين يتجه؟ يتجه إلى السماء إلـى فـوق، فـالله جل وعلا فـوق كـل شـيء مسـتو علـى عرشـه. إذن ((**الأعلى**)) إذا قرأتها فاستشعر بنفسك أن الله عال بصفاته، وعال بـذاته، ولهـذا كـان الإنسان إذا سجد يقول: سبحان ربي الأعلى، يتـذكر بسـفوله هـو، لأنـه هو الآن نزل فأنزل شيء هو هذا، فأشرف ما فـي الإنسـان وأعلـى مـا في الإنسان هو وجهه ومع ذلـك ينزلـه يجعلـه فـي الأرض الـتي تـداس بالأقدام، فكان من الحكمة أن تقول: سبحان ربي الأعلـى، يعنـي أنـزه ربي الذي هو فوق كل شيء، لأني نزلت أنا أسفل كـل شـيء، فتسـبح الله الأعلى بصفاته، والأعلى بذاته، وتشعر عندما تقـول: سـبحان ربـي الأعلى، أن ربـك تعـالى فـوق كـل شـيء، وأنـه أكمـل كـل شـيء فـي الصفات. ثم قال: ((**الذي خلق فسوى**)) ((**خلـق**)) يعنـي أوجـد من العدم، كـل المخلوقـات أوجـدها اللـه عـز وجـل، قـال اللـه تبـارك وتعالى: ((**يا أيها الناس ضرب مثـل فاسـتمعوا لـه ((** سـبحان اللـه ،اللـه يقـول لـه)) **يـا أيهـا النـاس ضرب مثـل فاسـتمعوا ((** اسكتوا)) **إن الذين تدعون من دون الله لـن يخلقـوا ذبابـاً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه**((. والله مثل عظيم، كل الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً، ولو اجتمعوا لـه، لـو يجتمـع جميـع الآلهـة الـتي تعبـد مـن دون اللـه وجميـع السلاطين وجميـع الرؤسـاء وجميـع المهندسـين علـى أن يخلقـوا ذبابـاً واحداً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، و الآن ونحن فـي هـذا العصـر وقـد تقدمت الصناعة هذا التقدم الهائل لو اجتمع كل هؤلاء الخلق أن يخلقوا ذباباً ما استطاعوا، حتى لو أنهم كما يقولون: إنهم صنعوا آدمياً آليـاً مـا يستطيعون أن يخلقوا ذبابة، هذا الآدمـي الآلـي مـا هـو إلا آلات تتحـرك فقـط، لكـن لا تجـوع، ولا تعطـش، ولا تحـتر، ولا تـبرد، ولا تتحـرك إلا بتحريك، الذباب لا يمكن أن يخلقه كل مـن سـوى اللـه، فـالله سـبحانه وتعالى وحده هو الخالق وبماذا يخلق؟ بكلمة واحدة ((إن مثل عيسـى

عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)). ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)). كلمة واحدة، الخلائق كلها تموت وتفنى وتأكلها الأرض، وتأكلها السباع، وتحرقها النيران، وإذا كان يوم القيامة زجرها الله زجرة واحدة أخرجي فتخرج. ((**فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة**)). ((**إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**)). كل العالم من إنس وجن، ووحوش وحشرات وغيرها كلها يوم القيامة تحشر بكلمة واحدة. إذن فالله عز وجل وحده هو الخالق ولا أحد يخلق معه، والخلق لا يعسره ولا يعجزه وهو سهل عليه ويكون بكلمة واحدة. وقوله ((**فسوى**)) خلق فسوى ، يعني سوى ما خلقه على أحسن صورة، وعلى الصورة المناسبة، الإنسان مثلاً قال الله تعالى في سورة الانفطار: ((**الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك**)). ((**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**)). لا يوجد في الخلائق شيء أحسن من خلقة الإنسان، رأسه فوق، وقلبه في الصدر، وعلى هيئة تامة، ولهذا أول من يدخل في قوله: ((**فسوى**)) هو تسوية الإنسان ((**الذي خلق فسوى**)) كل شيء يسوى على الوجه الذي يكون لائقاً به. ((**والذي قدر فهدى**)) قدر كل شيء عز وجل كما قال تعالى: ((**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**)). قدره في حاله، وفي مآله، في ذاته، وفي صفاته، كل شيء له قدر محدود، فالآجال محدودة، والأحوال محدودة، والأجسام محدودة، كل شيء مقدر تقديراً كما قال تعالى: ((**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**)). وقوله: ((**فهدى**)) يشمل الهداية الشرعية، والهداية الكونية، **الهداية الكونية**: أن الله هدى كل شيء لما خلق له، قال فرعون لموسى: ((**فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**)). تجد كل مخلوق قد هداه الله تعالى لما يحتاج إليه، فالطفل الآن ـ انظر إلى الطفل ــ إذا خرج من بطن أمه وأراد أن يرضع يهديه الله عز وجل إلى هذا الثدي يرتضع منه، وانظر إلى أدنى الحشرات النمل مثلاً أين تضع بيوتها ؟ لا تضع بيوتها إلا في مكان مرتفع من الأرض على ربوة من الأرض ، لماذا ؟ تخشى من السيول تدخل بيوتها فتفسدها، أيضاً إذا جاء المطر وكان في جحورها، أو في بيوتها طعام من الحبوب تخرج به إذا طلعت الشمس تنشره لماذا ؟ لئلا يعفن، وهي قبل أن تدّخره تأكل أطرافها

أطراف الحبة لئلا تنبت فتفسد عليهم، هذا الشيء مشاهد مجرب من الذي هداها لذلك؟ هداها الله عز وجل، هذه هداية كونية: أنه هدى كل مخلوق لما يحتاج إليه. **أما الهداية الشرعية** ــ وهي الأهم بالنسبة لبني آدم ـ فهي أيضاً بينها الله عز وجل حتى الكفار قد هداهم الله يعني بيّن لهم، قال الله تعالى: ((**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**)). والعياذ بالله استحبوا الكفر على الإيمان والهداية الشرعية هي المقصود من حياة بني آدم ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)). وإنما أخبرنا الله بذلك لأجل أن نلجأ إليه في جميع أمورنا، إذا علمنا أنه هو الخالق بعد العدم وأصابنا المرض إلى من نلجأ ؟ إلى الله ــ نلجأ إلى الله ــ لأن الذي خلقك وأوجدك من العدم قادر على أن يصحح بدنك، إذاً إلجأ إلى ربك، اعتمد عليه، ولا حرج أن تتناول ما أباح لك من الدواء، لكن مع اعتقاد أن هذا الدواء مثلاً سبب من الأسباب جعله الله عز وجل، وإذا شفيت بهذا السبب فمن الذي شفاك الله عز وجل، هو الذي جعل هذا الدواء سبباً لشفائك، ولو شاء لجعل هذا الدواء سبباً لهلاكك، فإذا علمنا أن الله هو الخالق فنحن نلجأ في أمورنا كلها إلى الله عز وجل، إذا علمنا أنه هو الهادي فإننا نستهدي بهدايته، بشريعته حتى نصل إلى ما أعد لنا ربنا عز وجل من الكرامة. نسأل الله تعالى أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم وأن يحلنا وإياكم دار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قوله تعالى : ((**سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى**)) هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه يقرئه القرآن ولا ينساه الرسول، يقرئه إياه و لا ينساه ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يتعجل إذا جاء جبريل يُلقي عليه الوحي فقال الله له: ((لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه)). فصار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينصت حتى ينتهي جبريل من قراءة الوحي ثم يقرأه، وهنا يقول: ((**سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله**)) يعني إلا ما شاء أن تنساه فإن الأمر بيده عز وجل ((**يمحو الله ما يشاء ويثبت**)). ((**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. ألم تعلم أن الله له ملك**

السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)). وربما نُسّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من كتاب الله ولكنه سرعان ما يذكرها عليه الصلاة والسلام، وقوله تعالى: ((**إنه يعلم الجهر**)) أي أن الله تعالى يعلم الجهر، ما يجهر به الإنسان ويتكلم به مسموعاً. ((**وما يخفى**)) أي ما يكون خفيًّا لا يُظهر فإن الله يعلمه كما قال تعالى: ((**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه**)). فهو يعلم عز وجل الجهر ويعلم أيضاً ما يخفى. ((**ونيسرك لليسرى**)) وهذا أيضاً وعد من الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام أن ييسره لليسرى، فما هي اليسرى ؟ اليسرى أن تكون أموره ميسرة، ولاسيما في طاعة الله عز وجل، ولما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه ما من أحد من الناس إلا وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار، كل بني آدم مكتوب مقعده من الجنة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، قالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل ـ يعني على ما كتب ـــ قال: (**لا. اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له**) فأهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ قوله تعالى: ((فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)) وهذا الحديث يقطع حُجة من يحتج بالقدر على معاصي الله فيعصي الله ويقول: هذا مكتوب علي. نقول هذا غلط لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (**اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له**) هل أحد يحجزك عن العمل الصالح لو أردته؟ أبداً. هل أحد يجبرك على المعصية لو لم تردها؟ أبداً لا أحد، ولهذا لو أن أحداً أجبرك على المعصية وأكرهك عليها لم يكن عليك إثم، ولا يترتب على فعلك لها ما يترتب على فعل المختار لها، حتى إن الكفر وهو أعظم الذنوب، قال الله تعالى فيه: ((**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم**)). إذن نقول اعمل أيها الإنسان، اعمل الخير وتجنب الشر، حتى ييسرك الله لليسرى ويجنبك العسرى، فرسول الله صلى الله عليه وسلّم وعده الله بأن ييسره لليسرى فيسهل عليه الأمور، ولهذا لم يقع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شدة وضنك إلا وجد له مخرجاً عليه الصلاة والسلام. ثم أمره تعالى أن يذكر فقال: ((**فذكر إن**

نفعت الذكرى)) يعني ذكر الناس، ذكرهم بآيات اللـه، ذكرهـم بأيـام اللـه، عظهـم، ((**إن نفعت الـذكرى**)) يعنـي فـي محـل تنفـع فيـه الذكرى، وعلى هذا فتكون ((**إن**)) شرطية والمعنى إن نفعت الذكرى فذكر، وإن لم تنفع فلا تذكر، لأنه لا فائدة من تذكير قـوم نعلـم أنهـم لا ينتفعون، هذا ما قيل في هذه الآية. وقال بعـض العلمـاء: المعنـى ذكـر على كل حال، إن كان هؤلاء القوم تنفع فيهم الـذكرى فيكـون الشـرط هنا ليس المقصود به أنه لا يُذكر إلا إذا نفعت، بل المعنى ذكـر إن كـان هؤلاء القوم ينفع فيهم التذكير، فـالمعنى علـى هـذا القـول: ذكـر بكـل حال، والذكرى سوف تنفع. تنفع المؤمنين، وتنفع الُمذكِّر أيضاً، فالمذكر منتفع على كل حال، والمذَّكر إن انتفع بها فهو مؤمن، وإن لم ينتفع بها فإن ذلك لا ينقص من أجر المـذِّكر شـيئاً، إذاً نحـن نـذكر سـواء نفعـت الـذكرى أم لـم تنفـع. وقـال بعـض العلمـاء: إن ظـن أن الـذكرى تنفـع وجبت، وإن ظن أنها لا تنفع فهو مخير إن شاء ذكر وإن شاء لـم يـذكر. ولكن على كل حال نقول: لابد من التذكير حتى وإن ظننت أنها لا تنفع، فإنها سوف تنفعـك أنـت، وسـوف يعلـم النـاس أن هـذا الشـيء الـذي ذكرت عنه إما واجب، وإما حرام، وإذا سكتَّ والناس يفعلون المحـرم، قال الناس: لو كان هذا محرماً لذكَّر به العلماء، أو لـو كـان هـذا واجبـاً لذكَّر به العلماء، فلابد من التذكير ولابد من نشر الشريعة سواء نفعـت أم لم تنفع. ((**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**)) أفلح مأخوذ من الفلاح والفلاح كلمة جامعـة وهـو الفـوز بـالمطلوب والنجـاة من المرهوب هذا هو معنى الفلاح فهي كلمة جامعـة لكـل خيـر رادعـة من كل شر وقوله ((**من تزكى**)) مأخوذ مـن التزكيـة وهـو التطهيـر ومنه سميت الزكاة زكاة لأنها تطهر الإنسان مـن أخلاق الرذيلـة وخلـق البخل كما قال تعالى ((**خذ من أموالهم صـدقة تطهرهـم**)) إذاً تزكـى يعنـي تطهـر، ومـن أي شـيء تزكـى ؟ يـتزكى أولاً مـن الشـرك بالنسبة لمعاملة الله أي فيعبد الله مخلصاً له الدين لا يرائي ولا يسـمع ولا يطلب جاهاً ولا رئاسة بما يتعبد به لله عز وجل وإنما يريد بهذا وجه الله والدار الآخرة ، تزكى باتباع الرسول عليه الصلاة والسـلام حيـث لا يبتـدع فـي شـريعته، لا بقليـل ولا بكـثير، لا بالاعتقـاد، ولا بـالأقوال، ولا بالأفعال، وهذا أعني التزكي بالنسبة للرسول عليه الصلاة والسلام هـو اتباع من غير ابتداع لا ينطبق تماماً إلا على الطريقـة السـلفية، طريقـة أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بكل ما وصـف اللـه بـه نفسـه فـي

كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على الطريقة السلفية الذين لا يبتدعون في العبادات القولية، ولا في العبادات الفعلية شيئاً في دين الله، تجدهم يتبعون ما جاء به الشرع خلافاً لما يصنعه بعض المبتدعة في الأذكار المبتدعة إما في نوعها، وإما في كيفيتها وصفتها، وإما في أدائها كما يفعله بعض أصحاب الطرق من الصوفية وغيرهم. كذلك يتزكى بالنسبة لمعاملة الخلق بحيث يطهر قلبه من الغل والحقد على إخوانه المسلمين فتجده دائماً طاهر القلب يحب لإخوانه ما يحب لنفسه لا يرضى لأحد أن يمسه سوء، بل يود أن جميع الناس سالمون من كل شر، موفقون لكل خير. فصارت التزكية لها ثلاثة متعلقات: الأول؟ منكم الجواب: في حق الله، والثاني؟ في حق الرسول، والثالث؟ في حق عامة الناس. **في حق الله**: يتزكى من الشرك فيعبد الله تعالى مخلصاً له الدين. **في حق الرسول**: يتزكى من الابتداع، فيعبد الله على مقتضى شريعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في العقيدة والقول والعمل. **في معاملة الناس**: يتزكى من الغل والحقد والعداوة والبغضاء وكل ما يجلب ذلك، كل ما يجلب العداوة والبغضاء بين المسلمين يتجنبه، ويفعل كل ما فيه المودة والمحبة ومن ذلك، من ذلك إفشاء السلام الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (**والله لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**)، فالسلام من أقوى الأسباب التي تجلب المحبة والمودة بين المسلمين، وهذا شيء مشاهد: إن مر بك رجل ولم يسلم عليك صار في نفسك شيء، وإذا لم تسلم عليه أنت صار في نفسه شيء لكن لو سلمت عليه أو سلم عليك صار هذا كالرباط بينكما يوجب المودة والمحبة وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في السلام: (**وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**)، وأكثر الناس اليوم إذا سلم يسلم على من يعرف، وأما من لا يعرفه فلا يسلم عليه، وهذا غلط، لأنك إذا سلمت على من تعرف لم يكن السلام خالصاً لله، سلم على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين حتى تنال بذلك محبة المسلمين بعضهم لبعض، وتمام الإيمان، والنهاية دخول الجنة جعلنا الله وإياكم من أهلها. وقوله: ((**وذكر اسم ربه فصلى**)) يعني ذكر اسم الله تعالى بالتعبد له، فصلى، ويدخل في ذكر اسم الله الوضوء مثلاً، فالوضوء من ذكر اسم

الله، **أولاً**: لأن الإنسان لا يتوضأ إلا امتثـالاً لأمـر اللـه. **وثانياً**: أنـه إذا ابتدأ وضوءه قال: بسم الله، وإذا انتهـى قـال: أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنـي مـن التـوابين واجعلنـي من المتطهرين. ومن ذكر اللـه عـز وجـل خطبـة الجمعـة، فـإن خطبـة الجمعة من ذكر الله، لقول الله تعـالى: ((**يا أيهـا الـذين آمنـوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسـعوا إلـى ذكـر اللـه وذروا البيع**)). وعلى هذا فقوله : ((**وذكر اسم ربه**)) يعني الخطيب يوم الجمعة ((**فصلى**)) أي صلاة الجمعة. فهذه الآية تشمل كل الصلوات التي يسبقها ذكر، وما من صلاة إلا ويسبقها ذكر فـي الغـالب؛ نعـم قـد يصلي الإنسان صلاة قد توضأ فيها مـن قبـل لكـن الغـالب أن الإنسـان يتوضأ قبيل الصلاة فيذكر اسـم اللـه ثـم يصـلي. وقـول اللـه تبـارك و تعـالى فـي سـورة الأعلـى ((**سـيذكر مـن يخشـى. ويتجنبهـا الأشقى**)) إلى آخره ، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى اللـه عليـه وآله وسلم أن يذكّر فقال ((**فذكر إن نفعت الـذكرى**) ثـم قـال ((**سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشـقى**)) فـبيّن تعـالى أن النـاس ينقسمون بعد الذكرى إلى قسمين: **القسم الأول**: مـن يخشـى اللـه عز وجل، أي يخافه خوفاً عن علم لعظمـة الخـالق جـل وعلا، فهـذا إذا ذكّـر بآيـات ربـه تـذكر كمـا قـال تعـالى فـي وصـف عبـاد الرحمـن: ((**والـذين إذا ذكـروا بآيـات ربهـم لـم يخـروا عليهـا صـمًّا وعمياناً**)). فمن يخشى الله ويخاف الله إذا ذكـر ووعـظ بآيـات اللـه اتعظ وانتفع. **أما القسم الثاني**: فقـال: ((**ويتجنبهـا الأشـقى**)) أي يتجنب هذه الذكرى ولا ينتفع بها الأشقى و((**الأشقى**)) هنا اسـم تفضيل من الشقاء وهو ضـد السـعادة كمـا فـي سـورة هـود: ((**فأما الـذين شـقوا ففـي النـار**)). ((**وأمـا الـذين سـعدوا ففـي الجنة**)). فالأشقى ـ والعياذ بالله ـ المتصف بالشقاوة يتجنـب الـذكرى ولا ينتفع بها، والأشقى هو البالغ في الشقاوة غايتهـا وهـذا هـو الكـافر، فإن الكافر يذكر ولا ينتفع بالذكرى، ولهذا قال: ((**الذي يصلى النـار الكـبرى. ثـم لا يمـوت فيهـا ولا يحيـى))** الـذي يصـلى النـار الموصوفة بأنها ((**الكبرى**)) وهـي نـار جهنـم؛ لأن نـار الـدنيا صـغرى بالنسبة لها، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسـلم: (**أن نار الدنيا جزء من سبعين جـزءاً مـن نـار الآخـرة**)، أي أن نـار الآخرة فضلت على نار الدنيا بتسـع وسـتين جـزءاً، والمـراد بنـار الـدنيا

كلها أشد ما يكون من نار الدنيا فإن نـار الآخـرة فضـلت عليهـا بتسـعة وستين جزءاً ولهذا وصفها بقوله: ((**النار الكبرى**)) ثـم إذا صـلاها ((**لا يموت فيها ولا يحيـى**)) المعنـى لا يمـوت فيسـتريح، ولا يحيـى حياة سعيدة، وإلا فهم أحيـاء فـي الواقـع لكـن أحيـاء يعـذبون ((**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها**)). كما قال الله عـز وجـل ((**ونادوا يا مالك**)) وهو خازن النار ((**ليقض علينا ربك**)) يعنـي ليهلكنا ويريحنا من هـذا العـذاب ((**قال إنكـم مـاكثون**)) ولا راحـة ويقـال لهـم: ((**لقـد جئنـاكم بـالحق ولكـن أكـثركم للحـق كارهون**)). هذا معنـى قـوله: ((لا يمـوت فيهـا ولا يحيـى)) لأنـه قـد يشكل على بعض الناس كيف يكون الإنسان لا حي ولا ميت؟ والإنسان إما حي وإما ميت؟ فيقال: لا يموت فيهـا ميتـة يسـتريح بهـا، ولا يحيـى حياة يسعد بها، فهو ـ والعياذ بالله ـ في عـذاب وجحيـم، وشـدة يتمنـى الموت ولكن لا يحصل له، هذا هو معنى قوله تعالى: ((**ثـم لا يمـوت فيها ولا يحيى**)). وقد سبق الكلام على قـوله تعـالى **((قَدْ أَفْلَـحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّـهِ فَصَـلَّى))** ، وبينـا أن المـراد بقـوله تزكـى أي بنفسـه أي زكاهـا وأخرجهـا مـن رجـس الشـرك إلـى زكـاة التوحيد . وقول اللـه تبـارك وتعـالى : ((**فذكر إن نفعـت الـذكرى سـيذكر مـن يخشـى ويتجنبهـا الأشـقى الـذي يصـلى النـار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى. وذكر اسـم ربـه فصـلى بـل تـؤثرون الحيـاة الـدنيا والآخـرة خيـر وأبقـى إن هـذا لفـي الصـحف الأولـى صـحف إبراهيـم وموسى**)) بقي من قوله تعالى ((**قـد أفلـح مـن تزكـى**)) هـذه الجملة جملة فعلية مؤكدة بقد ((**قد أفلح**))، والفلاح كلمة عامة يراد بها النجاة من المكروه والفـوز بـالمحبوب ، وقـوله مـن تزكـى أي مـن تطهر ظاهره وباطنه ، فتطهر باطنه من الشرك بـالله عـز وجـل ومـن الشك ومن النفاق ومن العداوة للمسلمين والبغضاء وغير ذلك من مما يتطهر القلب منـه ، وتطهـر ظـاهره مـن إطلاق لسـانه وجـوارحه فـي العدوان على عباد الله عز وجـل فلا يغتـاب أحـداً ولا ينـم عـن أحـد ولا يسـب أحـداً ولا يعتـدي علـى أحـد بضـرب أو جحـد مـال أو غيـر ذلـك، فالتزكي كلمة عامة تشـمل التطهـر مـن كـل درن ظـاهر أو بـاطن)) **وذكر اسم ربه فصلى** ((ذكر اسم ربه فصلى : أي ذكر اللـه لكنـه ذكر سبحانه وتعالى ذكر الاسم لأجل أن يكون الذكر باللسان لأن الذكر

باللسان ينطق اللسان بـه فيـه باسـم اللـه فيقـول مثلاً: سـبحان اللـه، والحمد لله، والله أكبر، فيذكر اسـم اللـه، وقـد ذكـر بعـض العلمـاء أن المراد بذكر اسم الله هنا خطبة الجمعة لقوله بعـد ذلـك ((**فصلى**)) ولكن الصحيح أنها أعم من هذا أن المـراد بـه كـل ذكـر اسـم اللـه عـز وجل أي كلما ذكر الإنسان اسم اللـه اتعـظ وأقبـل إلـى اللـه فصـلى ، والصـلاة معروفـة هـي عبـادة ذات أقـوال وأفعـال، مفتتحـة بـالتكبير، مختتمة بالتسليم. ثـم قـال تعـالى: ((**بل تـؤثرون الحيـاة الـدنيا. والآخرة خير وأبقى**)) ((**بـل**)) هنـا للإضـراب الانتقـالي، لأن بـل تأتي للإضـراب الإبطـالي، وتـأتي للإضـراب الانتقـالي، أي أنـه سـبحانه وتعالى انتقل ليبين حال الإنسان أنـه مـؤثر للحيـاة الـدنيا لأنهـا عاجلـة، والإنسان خلق من عجل، ويحـب مـا فيـه العجلـة، فتجـده يـؤثر الحيـاة الدنيا، وهي في الحقيقة على وصفها دنيا، دنيـا زمنـاً، ودنيـا وصـفاً، أمـا كونها دنيا زمناً فلأنها سابقة على الآخـرة فهـي متقدمـة عليهـا، والـدنو بمعنى القرب. وأما كونها دنيا ناقصة فكذلك هو الواقع فإن الدنيا مهمـا طالت بالإنسـان فـإن أمـدها الفنـاء، ومنتهاهـا الفنـاء، ومهمـا ازدهـرت للإنسان فإن عاقبتها الذبول، ولهذا لا يكاد يمر بـك يـوم فـي سـرور إلا وعقبه حزن، وفي هذا يقول الشاعر: فيـوم علينـا ويـوم لنـا *** ويـوم نساء ويوم نسر. تأمل حالك في الدنيا تجد أنه لا يمر بك وقـت ويكـون الصفو فيه دائماً بل لابد من كدر، ولا يكون السرور دائمـاً بـل لابـد مـن حزن، ولا تكون راحة دائماً بل لابد من تعب، فالدنيا على اسمها دنيا. ((**والآخرة خير وأبقى**)) الآخرة خير من الدنيا وأبقـى، خيـر بمـا فيهـا من النعيم والسرور الدائم الـذي لا ينغـص بكـدر ((**لا يمسهم فيهـا نصب وما هم منها بمخرجين**)). كذلك أيضاً هي أبقى مـن الـدنيا؛ لأن بقاء الدنيا كما أسلفنا قليل زائل مضمحل، بخلاف بقاء الآخرة فـإنه أبد الآبدين. ((**إن هذا لفـي الصـحف الأولـى. صـحف إبراهيـم وموسى**)) ((**إن هذا**)) أي ما ذكر مـن كـون الإنسـان يـؤثر الحيـاة الـدنيا علـى الآخـرة وينسـى الآخـرة، وكـذلك مـا تضـمنته الآيـات مـن المواعظ ((**في الصحف الأولى**)) أي السابقة علـى هـذه الأمـة ((**صحف إبراهيم وموسى**)) وهي صحف جـاء بهـا إبراهيـم وموسـى عليهما الصلاة والسلام، وفيها من المواعظ ما تلين به القلـوب وتصـلح به الأحوال، نسأل الله تعالى أن يجعلنا و إيـاكم ممـن أوتـي فـي الـدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، ووقاه الله عذاب النار .